(محاسن الإقتداء)

الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، لاإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره...ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له القائل : (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُه ورسوله القائل : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم - أو من خالفهم - حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فيقول تعالى : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) روي فى سبب نزول هذه الآية : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة آوتهم الأنصار بعد أن رمتهم العرب عن قوس واحدة فكانوا لا يبيتون إلا في السلاح ولا يصبحون إلا فى السلاح فقالوا : أترون أنا سنعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل ؟ فأنزل الله تعالى : (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ مِنْكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ...) الآية أي كفروا بالنعمة .

وقد تحقق ذلك الوعد فأظهر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وأمنوا فى حياته صلى الله عليه وسلم وكذلك في إمارة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان رضي الله عنهم وبعد أن مضت القرون الأولى وحلت هذه القرون ووقع أهلها فيما وقعوا فيه من المعاصى وكفروا بالنعم أدخل الله تعالى عليهم الخوف ، وسيظلون هكذا حتى يغيروا ما بأنفسهم فيغير الله لهم .

نعم معشر المسلمين : لقد ربى الرسول صلى الله عليه وسلم جيلا من الصحابة لا نحصي لهم عددا...وقد سطرعلماء الإسلام في سيرة هؤلاء أسفارا كأسْدِ الغابة ، وَسِيَرأعلام النبلاء ، هذه مؤلفات تعجز يد الرجل القوي عن حملها ، وعندما نقرأ سيرة هؤلاء الرجال وما كانوا عليه من ثقة بربهم كأننا نقرأ عن خيال أو عن أساطير ، ولكنها الحقيقة التى لولاها لأصبحنا فقراء من الثقة واليقين ، فما أحوج الأمة إلى مثل هؤلاء الرجال الذين يعالجون الأخطاء بالرفق ، ويقابلون الأحقاد بالعفو ، ولكن كيف لهم ذلك وأعداؤهم يتربصون بهم فى كل مكان ؟ ليس لهم إلا أن يتوحدوا كما أمرهم ربهم بقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا) فإذا قاتلونا مجتمعين قاتلناهم كذلك كما قال تعالى : (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) وعلى المسلمين أن يحذروا أعداءهم لأنهم لايريدون لهم الوحدة بل يريدون لهم التمزق والتفرق حتى يسهل القضاء عليهم دينيا ودنيويا وقد أخبرنا الله بذلك فقال : (...وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) ويقول : (وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء) ويقول : (وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ) هم الذين لايرضيهم سوى أن نكون تابعين لهم أذلاء قال تعالى : (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) إنهم يحاربون هذا الدين تحت مظلة مكافحة الإرهاب أحيانًا وتحت مظلة حقوق الإنسان أحيانًا أخرى ، إنهم يدبرون المؤامرات ضدّ ديننا وضد نبينا صلى الله عليه وسلم فى هجمات منظمة لتشويهَ صورة الإسلام .

● أيها المسلمون : (من تَعَلَّقَ بشيء وُكِلَ إليه) تلكم قاعدة نبوية نطق بها من لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم ، ورأيناها واقعًا فيما مر بنا من أحداث عظام ، فأمة العرب ركنت في قضاياها المصيرية إلى المنظمات الدولية ، وركنت في حمايتها إلى الدول العظمى ، وتعلقت بها أكثر من تعلقها من بالله تعالى فماذا كانت النتيجة ؟ ما زادتها إلا ذلاً وقهرًا ورهقًا ، فضاعت فلسطين في أروقة الظالمين ، وأمة العرب ومن ورائها المسلمون لم يستطيعوا فعل شيء لماذا ؟ لأن تعلقهم بالأمم المتحدة أصبح أكثر من تعلقهم بالله سبحانه ، فضربت عليهم الذلة رغم كثرتهم ، وأهينوا بالفقر رغم ثرواتهم ، وأصيبوا بالتفرق رغم وحدتهم .

● فلقد خلق الله الإنسان ولم يكن شيئًا مذكورًا ، فلما جعله ربه شيئًا مذكورًا تكبرت نفسه وطغى فعصى ربه وأفسد في أرضه ، وظلم خلقه ، ونازع الله تعالى في خصائصه ، فأملى الله تعالى له... فلما أخذه لم يفلته ، ولقد رأينا ذلك فيمن نُزعوا من عروشهم على مدار التاريخ ، وهذا يحتم على الإنسان عدم الإغترار بالدنيا مهما تزينت له ، فثقوا ياعباد الله بنصر الله ، فمن التجأ إلى الله فقد آوى إلى ركن شديد...فالتعلق بالله هو سبب النصر وهو بوابة التمكين في الأرض ، لقد اجتمعت أمم الكفر من سالف التاريخ إلى حاضره على الرسل وأتباعهم...فلم يستطيعوا هزيمتهم أتدرون لماذا ؟ لأن تعلقهم بالله تعالى دون سواه كان أمضى سلاح كسرالله به أعداءهم ، ومن أمثلة ذلك :

● تأملوا سيرة نوح عليه السلام وهو وحيد طريد ، ما آمن معه إلا قليل ، لقد وقف في وجوه الملأ من قومه وأمرهم بالإجتماع عليه في صورة من التحدي والإعجاز تدعو للإكبار والإعجاب قال تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ) سبحان الله! يأمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بأن يتلو علينا نبأ نوح عليه السلام لماذا ؟ لنتعلم من سيرته كيف يكون التعلق بالله تعالى دون سواه فقال : (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ...) ماذا كان مع نوح عليه السلام من سلاح في تحدي قومه ؟! كان سلاحه فقط : (فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) فحماه الله تعالى منهم ، ولم يقابلوا تحديه بفعل ولا بقول وهم أقوى وأكثر .

2- وتأملوا سيرة هود عليه السلام عندما وقف أمام قومه داعيًا إلى ربه ، مسفهًا آلهة قومه يتحداهم وحده وهم قوم عاد وما أدراك ما قوم عاد ؟ هم أهل القوة والبطش والجبروت فقال : (...قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ) إنه يدعوهم إلى الإجتماع عليه .

3- وتأملوا سيرة الخليل عليه السلام عندما ألقي في النار لم يكن في قلبه إلا الله تعالى وكان يردد : "حسبي الله" أي الله كافيني ، وروى أن جبريل عليه السلام جاءه وهو يهوي في النار فقال : (يا إبراهيم ألك حاجة ؟) قال : (أما إليك فلا...) قال : سل ربك قال :

(علمه بحالي غني عن سؤالي)

4- وتأملوا سيرة يونس عليه السلام عندما التقمه الحوت فاجتمعت عليه ظلمة الليل ، وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ما تعلق إلا بالله تعالى :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ)

5- وتأملوا سيرة يعقوب عليه السلام حين فقد يوسف لم يتعلق في طلبه بغير الله تعالى :

(قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

6- وتأملوا سيرة موسى عليه السلام عندما طرد من مصر ومن معه من الأقلية المؤمنة حتى استقبلوا البحر والعدو خلفهم ، فعظم الكرب على أتباع موسى وعلموا أنهم حوصروا في قبضة فرعون فقالوا : (...إِنَّا لَمُدْرَكُونَ) لكن موسى عليه السلام كان مع الله فقال :

(قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)

7- وتأملوا سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم حين طوق المشركون الغار وقال أبو بكر رضي الله عنه : لو أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا فقال صلى الله عليه وسلم :

(ما ظَنُّكَ يا أَبَا بَكْرٍ باثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا)

8- وعندما كتب أبو عبيدة إلى عمر رضي الله عنه يطلب منه المزيد من الجند فى معركة للمسلمين ويخبره أنه قد نزل بهم جموع لا طاقة لهم بها ، فلما وصل كتابه إلى عمر رضي الله عنه بكى الناس وطلبوا من أميرالمؤمنين عمر أن يخرج بالناس...فكتب عمرإلى أبي عبيدة فقال :

مهما ينزل بامرئ مسلم من شدة فينزلها بالله تعالى يجعل الله له فرجًا ومخرجًا ، فإذا جاءك كتابي هذا فاستعن بالله وقاتلهم نعم علمهم الفاروق رضي الله عنه كيف يكون التعلق بالله تعالى...وليس التعلق بعمر ولا بجيشه...فنصرهم الله تعالى نصرًا عزيزًا .

9- فعلّقوا قلوبكم معشرالمسلمين بالله وحده لاشريك له في جميع أموركم في أمنكم وفي أرزاقكم ولاتتعلقوا بمخلوق مهما علت منزلته وبلغت قوته فإن العزة لله جميعًا قال تعالى : (إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ) ولا يمنعكم ذلك من طلب الحاجة ولكن بعزة كما قال صلى الله عليه وسلم : (إِنَّ رُوحَ القُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وتَسْتَوعب رزْقهَا ، فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ) .

10- واشكروا ربكم أيها المسلمون يزدكم كما وعدكم ربكم فقال : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) واستغفروه يغفرلكم وتذكروا قول ابن عباس رضي الله عنهما : كان فى الأرض أمانان من عذاب الله رفع أحدهما وبقي الآخر ، فأما الأمان الذى رفع : فهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأما الآخر : فهو الإستغفار قال تعالى :

(وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)

وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)